# أصفاد

بسمة ناجي

غضبٌ يستعر داخل روحي وأنا أتأمل تلك الأصفاد المغلغلة ليديّ بأنفاسٍ مشتعلة كـكل عام في هذا التوقيت دون مفر منها، أو مغفرة تشفع لنا، بعد خطيئة أبينا الأعظم، التي نتحمل تبعاتها إلى هذا اليوم.

رفعت ناظري أتأمل عشيرتي التي تقف نفس موقفي هذا، يتسامرون كأن الأمر لا يعنيهم، أو كأنهم في نزهةٍ ما، يخططون لما سوف يفعلون يوم غد، فيومٌ واحد يفصلنا عن فك هذا الأسر، لا.. بل فقط بضع ساعات وأعود لعملي وسط الأسواق.

عُدت للشرود بأصفادي، مفكرًا في إنجازاتي قبل رمضان، كل النفوس صارت محملة بالأحقاد، التناحر والتنافر يكفي لسنوات، وبمجرد عودتي سوف تتأجج النيران داخلهم من جديد.

مرت الساعات تباعًا، وأنا أفكر في حال منطقتي التي أعمل على إشعال الفتن فيها، إلى أن تم فك الأسر، عقب أذان مغرب آخر أيام هذا الشهر الكريه.

كدت أتنفس الصعداء بتحرير وثاقي، لكن هذا الصوت البغيض الذي استقبلني به إمام هذه المنطقه بعد شهر كامل من التصفيد، جعلني أصُم آذاني، أكره العوده إلى هنا، بسبب نداءه اليومي في الخمس صلوات.

عاد عقلي للعمل بقوته القصوى، بعد هذه الإجازة الإجبارية، لترتسم على وجهي بعدها ابتسامةٌ جَزلة تَليق بأفكاري، فقد اكتملت الخطة، وسوف يتوقف الإمام عن الأذان والصلاة بطريقتي، بعد أن فشل (حنزب) و(الولهان) في إثناءهِ عنها.

عُدت ألتفت حولي أطمئن على أحوال العباد، ابتسمت عندما وجدت في استقبالي المشاحنات، والأحقاد بين الجميع، تُطرب أذني بسماع السباب من مختلف الألوان، ما أروعك أيها القصَّاب! لازلتَ على عهدي بك، لا تكتال بالقسط.

وها هي تلك الشمطاء، تعود مرة أخرى لتحتك بالبائعين، يا لكِ من ماكرة أيتها السيدة، لقد واريتِ إحدى القطع الذهبية في حقيبتك كالبرق، كدتُ ألّا ألحظها، لولا معرفتي بكِ، وهذا التاجر المتغضن يعبثُ بأجساد النساء، مدعيًا البلاهة وعدم القصد، قهقهت ضاحكًا عليه، مُلتفتًا إلى دكان الحج طه (شيخ الجامع).

يا لها من رائحة مقززة، تلك التي تُطلقها عيدان البخور التي لا ينفك يشعلها عقِب كل صلاة، صوت آيات القرآن تشعل أوصالي، لن أستطيع أن أعمل في هذه الأجواء المقبضة، أسرعت التفكير في هذه المعضلة، ليستنير عقلي بفكرة، تعجلتُ لتنفيذها.

هرعتُ إلى عامل شركة الكهرباء، فوجدته يدخن أحد سجائره المخدِرة، فابتسمت لصغيري الباقي على العهد، وأنا أنظر حولي أبحث عن طريقةٍ ما لقطع الكهرباء، ما هي إلا لحظات، حتى أقبل أحد دائنيه لينهض الآخر مترنحًا إثر المخدر، وقد أوشك المعركة على البدء.

نفَثتُ في عُقدهم حتى اشتعل الصِّراع ووصل إلى أوجهِ، مع دفع العاملِ للدائن نحو لوحةِ الكهرباء المركزية، لينطلق الشرر في كل مكان.

ما هي إلا لحظات، حتى انقطعت الأضواء، حسنًا فعلت، الآن أمامي نصف ساعة حتى أذان العشاء، فتره جيدة لأجد ما يلهيه عن الصلاة.

تلفتُ حولي لأجد مبتغاي، إحدى الفاتنات التي تخلُب لب أعتى الرجال، تبحثُ عن مبتغاها رغم الظلام الدامس.

اقتربت منها، موسوسًا لها نحو دُكان الشيخ طه، فرفعت عينيها بفضول، لذلك الشيخ الجالس أمام دكانه، يراقب الجميع ممسكًا بمسبحته.

أقبَلت نحوه بخطواتٍ متغنجة، تتشدق بعِلكة مطاطية، مُصدرة صوتًا مميزًا، مع حركة شفاهِها الممتلئة الخاطفة للألباب، ومع حرارة الأجواء، بدا ثوبها مناسبًا لسلب جميع الأنظار نحوها.

توقَفت أمامه تتحسس إحدى ذراعيها بدلال وهي تسأله عن شيء ما، فنظر نحوها وكاد يخفض بصره، فـلفتُّ نظرَه لقدِّها المياس، وملامحها الأُنثوية الطاغية، ثم داعبْت أنفه بأثر عِطرها الأخاذ، فتمعن بها وهو يومئ بالإيجاب، على توفّر حاجتها لديه.

نهض فسارت خلفه ببطء، وهي تهتدي على الضوء الخافت الصادر من هاتفه، فتلفت نحوها يرنوها بنظرة خاطفة، ضحكت على إثرها ضحكة صاخبة جعلت قلبه الكهل ينبض بقوة، ثم أطلق تنهيدة حسرة على حاله مع زوجته، وأنا أرسُم بخاطرهُ صورة إهمالها لذاتها وله.

ظللتُ أُراقب حركاتها الأُنثوية مع الشيخ، وهي تُشير إلى إحدى المعروضات، فناولها إياها مشدوهًا بجمالها، بينما هي اقتربت من المرآة بجوارهِ، تتأمل الثوب على جسدها بافتتان جعل ابتسامتي تتسع مع اقتراب تحقيق هدفي، وأذان العشاء يصدح في الأجواء من المساجد البعيده، ولازال الشيخ طه في موضعه، وقد نسي نِداء الصلاة وهو يراقب تلك الحورية التي أرسلتها له لتُسقطه من الفِردَوس.

انتفضت مصدومًا مع عودة الإضاءة قبل إتمام نجاح خطتي، وأنا أنظر بفزع نحو الشيخ طه الذي أجفل مع عودة صوت المذياع بآيات القرآن، مُحدقًا فِي مَن أمامهُ بذهول، لترتسم على قسمات وجهه أمارات الغضب، وتنقش الحسرة مرة أُخرى خطوطها على وجهي، وهو يطرد تلك السيدة بعنف، يغُلق بعدها الدكان على عجل مستغفرًا ربه، راحلًا قاصدًا المسجد تاركًا إياي خلفه أتلوى من الغيظ، حسنًا، لقد خسرت تلك الجولة، لكن أيها الدميم ذو الصوت الأجش إنها ليست نهاية المطاف، فسوف يكون لي معك مآرب أخرى.

قد تراودك نفسك على المعصية، تغزو نحوها بروحِك، وتُقبل عليها بصدرٍ رحب، تدعَمُك وساوس الشيطان، منيرًا طريقكَ نحو جهنم بحممٍ من سِجّيل، لكن إن كان في قلبك مثقال ذرةٍ من إيمان، فسيردك الله إلى صراطه المستقيم.